المؤلفات المنسوبة للخليل بن أحمد الفراهيدي وحقيقة نسبتها إليه

أ.د. محمد عبد الفتاح العمراوي (*)

مقدمة :

ما أكثر الدراسات التي تناولت الخليل بن أحمد الفراهيدي وجهوده العلمية، تلك الجهود التي توزعت على عدة علوم من علوم العربية، أبرزها الأصوات والمعجم والنحو والصرف والعروض والقافية، فالرجل يقف موقف الريادة في هذه العلوم جميعا، وهذا ما يغري الباحثين بتتبع كل ما ينسب إليه وما يتعلق به مما ورد في كتب التراث ودراسات المحدثين.

وتضن علينا كتب التراجم كثيرا بالحديث عن مؤلفات الخليل، فقد ضاع جلها، ولم يسلم ما أورده القدماء من هذه المؤلفات من التضارب والشك في النسبة، وما حقق منها ليس بمنجاة عن هذا الأمر، وكان ذلك داعيا للبحث عن حقيقة نسبة تلك المؤلفات إلى الخليل.

لقد أجمع القدماء والمحدثون على تميز جهود الخليل في كل مجالات اللغة، وليس من الإنصاف للرجل أن تنسب إليه مؤلفات لا ترقي إلى فكره المتميز؛ لأن أحد النساخ وضع اسم الخليل بن أحمد الفراهيدي على مخطوط ما؛ بهدف رواج عمله، أو لهدف آخر، فمثل هذا الأمر يحمل الكثير من الخطورة على فكر الرجل ومكانته العلمية، ويحدث الكثير من الخلط في المذاهب والآراء والمصطلحات التي عرفت عن المرحلة التي عاش فيها الخليل، وهي مرحلة البناء والتأسيس لعلوم العربية، ومرحلة بدايات أصول الاتجاهين البصري والكوفي، في تاريخ النحو العربي.

(*) الأستاذ بقسم النحو والصرف والعروض كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

وسوف نتناول هنا المؤلفات المنسوبة إلى الخليل بن أحمد، لنتبين مدى صدق نسبتها إليه، ومنها كتب ما زالت مخطوطة، ومنها ما حقق منسوبا إليه، ومنها ما أشارت إليه كتب التراجم، وقد جاء البحث مكونا من ثلاثة مباحث:

***المبحث الأول: الكتب التي عثر عليها، وهي نوعان:**

أولا- الكتب العمانية.

ونعني بها المخطوطات التي عثر عليها في المكتبات الخاصة في سلطنة عمان، ولا وجود لها – فيما أعلم- في غير السلطنة.

ثانيا- الكتب العامة.

ونعني بها الكتب التي شاع وجودها في مكتبات العالم، وتقتصر على كتاب العين.

***المبحث الثاني: الكتب المفقودة.**

***المبحث الثالث: كتاب الجمل في النحو.**

وقد خصصناه بمبحث؛ لأهميته، ولوجود أكثر من تحقيق له، ومع ذلك لم تحسم نسبته.

المبحث الأول: الكتب التي عثر عليها

أولا: الكتب العمانية:

١- التقريب والهادي والقصيدة المرجانية:

في أثناء بحثي في المخطوطات بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، وجدت مجلدا يجمع عدة مخطوطات في النحو، منها ثلاثة ينسبها الناسخ إلى الخليل بن أحمد، فيقول في نهاية المجموع: "تم كتاب التقريب والهادي والقصيدة المرجانية في النحو تأليف العالم البليغ الخليل بن أحمد، وكان تمامه عشية الاثنين لست عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى، أحد شهور ثلاث سنين وأربعين سنة ومائة وألف من الهجرة، وكان تمامه على يد الفقير الحقير المعترف بالذنب والخطأ والتقصير، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتي الله بقلب سليم، خلف بن خنجر بن سعيد بن غفيلة العقيلي نسبا، الأباضي مذهبا، والضنكي وطنا"(١).

فالناسخ هنا ينسب الكتب الثلاثة إلى الخليل بن أحمد، ولا شك في أن كثيرا من الناس يسمون هذا الاسم، غير أنه إذا ما وضع على كتاب نحوي تراثي دون بيان، فإن الذهن سينصرف إلى الخليل الفراهيدي لا إلى غيره.

والحقيقة أن القصيدة المرجانية موثقة النسبة إلى أحمد بن مانع بن سليمان بن مراد بن عدي بن ربيعة بن أحمد بن محمد بن راشد بن صلت بن ربيعة بن غسان، وكان يسكن نزوى في القرن التاسع الهجري، ولا شك في نسبتها إليه، وقد ذكر في نهاية المنظومة أبياتا يذكر فيها عنوان منظومته وعدد أبياتها وتاريخ انتهائها، فيقول:

وإن سال عن أبياتها سائـــل فقـــل ثـــلاث مئين عدُّها غيرُ منخرمْ
وسبعون بيتا ثم عشـــرون ختْمُها فعدَّ تجدْ حُسْبانَهـــا مثل ما رُقِمْ
وإن قيل يوما ما اسمُها فقلِ اسمُها فريـــدةُ مَرْجانِ العلـــوم إذا قُسِمْ

وتاريخُها يومَ الخميس لسادس وعشْرٍ قد خَلَــوْنَ منَ الأَصَــمْ
لسبعين عاما ثم عامين بعدهــا تليها ثمــانٍ من مِئينَ فلا جَرَمْ
من الهجرة الغراءِ هجرةِ أحمدٍ رسولِ الإلهِ المصطفى سيِّدِ الأُمَمْ[٢]

أما كتاب "الهادي في النحو" فإنه ينسب إلى زين الدين جبريل، وذلك في الكتاب الصادر عن وزارة التراث بقسم الوثائق والمخطوطات. وفي مخطوطة الكتاب بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي كتب على الغلاف أنها ليزيد بن محمد البهلوي، وذلك بخط السيد محمد، وقد اقترحت في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس أن يقوم أحد الباحثين بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه، واضطلع بهذا الأمر الباحث سعود بن حمد الظفري للحصول على درجة للماجستير، وأشرفت على هذه الدراسة، ووصل الباحث إلى نتائج جيدة في تحقيقه نسبة الكتاب، وأجملها فيما يأتي[٣]:

١- الكتاب ليس للخليل بن أحمد لما اشتمل عليه من آراء ومصطلحات كوفية لا توافق آراء الخليل ومصطلحاته الموثقة الواردة في كتاب سيبويه، وقد فصل الباحث الحديث عن تلك المصطلحات والآراء، وأضاف أن الكتاب يذكر علماء عاشوا في القرن الثالث الهجري مثل المازني ت٢٤٩هـ، والمبرد ت ٢٨٥ هـ.

٢- الكتاب ليس لزين الدين جبريل – وهو نحوي مصري ت ٩٣٩هـ – لأنه لم يرد له ذكر في كل المصادر التي ترجمت للرجل، وقد قارن الباحث بين كتاب الهادي وكتاب آخر لزين الدين جبريل وهو " شرح الآجرومية" ولم يصل إلى أوجه اتفاق أو تشابه بين الكتابين.

٣- الكتاب نسبه عمر رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين إلى محمد بن أحمد الحكيم الكيشي ، وذكر الباحث أنه لم يعثر علي سيرة للرجل في مصادر أخرى ولم يعثر له على مؤلفات.

٤- الكتاب يرجح أنه ليزيد بن محمد البهلوي السحتني اليحمدي العماني، الذي عاش في القرن السادس الهجري، وذلك للأسباب الآتية:

- التشابه الكبير بين كتاب البهلوي" مختصر في النحو" وكتاب "الهادي" وذلك في التعريفات والمصطلحات والأمثلة والأساليب وتناول الأبواب النحوية.

- القرائن التي تشير إلى أن صاحب كتاب الهادي كان يعيش في القرن السادس الهجري، وقد فصل الباحث الحديث في هذه النقطة.

ومن خلال هذا الجهد العلمي الطيب للباحث يتضح أن الكتاب ليس للخليل، وأنه ترجح نسبته إلى محمد بن يزيد البهلوي العماني، ولعل ما يرجح هذا الأمر أن المخطوطات الثمانية للكتاب عثر عليها جميعا في المكتبات العمانية، ولم يعثر الباحث على نسخ للكتاب في المكتبات العربية التي تهتم بالتراث.

وأما الكتاب الثالث وهو "التقريب" فلم أعثر على صاحبه، لكنه يأخذ حكم الكتابين السابقين في عدم النسبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهذا الكتاب في حاجة إلى دراسة وتحقيق.

ويرجح أن نسبة هذه الكتب الثلاثة إلى الخليل تهدف إلى رواج ما يقوم به الناسخ من عمل، فالناسخ يعتمد على شهرة الخليل بن أحمد، وذيوع صيته، فينسب ما ينسخه إليه أملا في تحقيق ربح مادي.

٢- المنظومة النحوية:

وقد حققها الدكتور أحمد عفيفي، وطبعتها وزارة الثقافة بمصر سنة ١٩٩٥م، وطبعتها كذلك وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان سنة ٢٠٠٠م، وعنوان الكتاب: المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي.

واعتمد محقق المنظومة على عشر مخطوطات، تنسب في تسع منها إلى الخليل بن أحمد، ويوصف بالعروضي في اثنتين منها، وبالخروصي في واحدة، ولم أجده يوصف بالفراهيدي في أي من المخطوطات العشر. وهذه المخطوطات نسخت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين[٤]، وبعد

قراءة المنظومة والدراسة الموسعة التي سبقت التحقيق نرى أنها ليست للخليل بن أحمد الفراهيدي لما يأتي:

– الناسخ الذي نسب المخطوطات الثلاث السابقة، ونسبها إلى الخليل بن أحمد – هو نفسه الناسخ لإحدى المخطوطات للمنظومة النحوية، وهو خلف بن خنجر، وذكر أنه أتم نسخ المخطوطات سنة ١١٤٢هـ، وقد ثبت أن المخطوطات السابقة ليست للخليل فمن المرجح أن نسبة المنظومة إليه تكون موضع شك كبير.

– المخطوطات التي عثر عليها المحقق تنتمي جميعا إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، فهي متأخرة، ولعل مخطوطة خلف بن خنجر من أقدم هذه المخطوطات، وأن ما تبعها من مخطوطات نقل عنها وسلك مسلكها في النسبة.

– المخطوطات العشر عثر عليها في مكتبات سلطنة عمان، ولم يعثر المحقق على نسخة في غير مكتبات عمان، ولعل هذا الأمر يؤكد أنها سلكت مسلكا واحدا في النسبة إلى الخليل بن أحمد دون تثبت.

– ضعف المنظومة والسطحية في الأفكار، ففي حديثه عما جمع بألف وتاء يتحدث عن الأسماء التي تشتبه معه، نحو: أصوات وأبيات، فيقول:

وسمعتُ أصواتًا فجئت مبادرًا والقومُ قد شهروا السيوفَ وأجلبوا
فنصبتُ لما أن أتـت أصلية وكذاك ينصبهـا أخونا قُطْـرُبُ

فالبيتان لا يضيفان معنى نحويا يليق بالخليل عبقري العربية، فالنحاة جميعا لا خلاف بينهم في نصب نحو " أصوات" بالفتحة، لأن السماع عن العرب صريح وليس هناك ما يخالفه، لذلك لا وجه لقوله: "وكذاك ينصبها أخونا قطرب"، وقطرب النحوي المعروف المتوفى سنة ٢٠٦هـ لم تذكر كتب التراجم أنه أخذ عن الخليل، بل أخذ عن سيبويه، فلا وجه لقوله: "أخونا قطرب"

إلا لاجتلاب القافية. ولا يخلو قوله: "نصبت" من ضعف لا يليق بالخليل، فالموقع نصب، ولو وضع مكان الكلمة جمع مؤنث سالم، لكن المقصود حركة النصب، أهي الفتحة أم الكسرة؟

- وفي قوله:

والفاعلون ولم يُسَمَّوْا حدُّهم رفعٌ وبعد الرفع نصبٌ يُلْحَبُ

لا يخلو من ضعف المعنى وسطحيته، فهو يشير إلى رفع الاسم الذي ينوب عن الفاعل، أما قوله " وبعد الرفع نصب يلحب" – ويلحب، أي: يتضح– فهذه العبارة لا مسوغ لها، لأن الجملة الفعلية التي تبنى للمجهول ليس من اللازم أن يتبع المرفوع فيها اسم منصوب، وهو يشير بقوله " والفاعلون ولم يسموا" إلى ما اصطلح عليه الكوفيون وتبعهم بعض المتأخرين بـــ" ما لم يسم فاعله" وهو مصطلح لم يرد في كتاب سيبويه، ولم يرد لدي البصريين الأوائل.

- المنظومة بها عدد من المصطلحات والآراء المخالفة لمصطلحات الخليل وآرائه، ونأمل أن نقوم بدراسة تحليلية تظهر مخالفة ما ورد في المنظومة النحوية لفكر الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ثانيا: الكتب العامة:

معجم العين:

والشك في نسبة كتاب العين للخليل بن أحمد قديم، ويرجع هذا الشك إلى أمرين:

الأول: أن الكتاب لم يظهر إلا بعد وفاة الخليل بمدة طويلة، فلم تكن لتلامذته معرفة به، يقول المرزباني :"كان الخليل منقطعا إلى الليث بن رافع بن نصر بن سيار، صاحب خرسان، فأراد الخليل أن يهدي له هدية... فصنف له كتاب العين الذي لم يوضع مثله"(٥)

وذكر أن الكتاب ظل بخرسان مدة طويلة، ثم حمل إلى بغداد في أيام أبي حاتم السجستاني(ت٢٥٥هـ) فلما رآه أنكر أن يكون للخليل.

والثاني: أن العلماء وجهوا إلى الكتاب بعض المآخذ مثل الخلط في الأبنية، والأخطاء في المادة اللغوية، ووجود آراء ومصطلحات كوفية، واشتماله على شواهد شعرية للمحدثين.[٦]

والذي يطمأن إليه أن الكتاب من وضع الخليل في فكرته وخطته وكثير من مادته، يؤكد ذلك بعض الروايات التي تثبت نسبته للخليل، مثل رواية الليث بن رافع نفسه، الذي شهد تأليف هذا الكتاب، وقد شهد له العلماء بالصدق والصلاح، يقول: كنت أصير(أرجع) إلى الخليل بن أحمد، فقال لي يوما، لو أن إنسانا قصد وألف حروف أ، ب، ت، ث، على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتهيأ له أصل لا يخرج منه شيء ألبتة... فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فإنه لا يعرف في كلام العرب أكثر منه، قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف لي، ولا أقف على ما يصف، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياما ثم اعتل، وحججت، فما زلت مشفقا عليه، وخشيت أن يموت في علته؛ فيبطل ما كان يشرحه لي، فرجعت من الحج، وصرت إليه، فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ماهي في الكتاب، وكان يملي علي ما يحفظ، وما شك فيه يقول لي سل عنه، فإذا صح فأثبته إلى أن عملت الكتاب"[٧].

فرواية الليث تثبت أن الخليل وضع خطة الكتاب وأبوابه وأكثر مادته، وكان يملي على الليث، ويطلب منه أن يتثبت من بعض المواد التي يشك فيها، ويبدو أن الليث كان يستعين في تثبته بغيره من حفظة اللغة. ومن الواضح أن اعتماد الخليل على إملائه الليث قد نجم عنه بعض الأخطاء والاضطراب من الكاتب، فالليث في نصه السابق يعترف بأنه كان لا يقف على ما يقوله الخليل، فكان يختلف إليه رغبة في الفهم. ولم يخل الكتاب من زيادات النساخ وتحريفاتهم، وكل هذا يفسر بعض المآخذ التي أخذها العلماء على الكتاب.

وهناك رواية أخرى، لعلها تكمل رواية الليث، وتروى عن ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) فيرى أن كتاب العين للخليل، لكنه ليس الكتاب الذي بين أيدينا الآن، فقد كان الليث ملازما للخليل، فخصه بالكتاب، لكن زوج الليث أحرقته لخلاف نشب بينهما، ولم يكن لديه إلا النسخة التي أحرقت، فاعتمد على حفظه، وعلى سؤال العلماء في عصره ملتزما منهج الخليل.(٨)

إن إنكار العلماء كتاب العين حين ظهر فجأة- له ما يسوغه، فقد حدث ما يشبه ذلك مع كتاب سيبويه، فقد روى الزبيدي أنه بعد موت سيبويه قيل ليونس بن حبيب: إن سيبويه ألف كتابا في علم الخليل من ألف ورقة، فتعجب يونس وقال: متى سمع سيبويه من الخليل هذا كله؟ وطلب أن يرى الكتاب، فلما نظر فيه أقر بصدق سيبويه.(٩)

لقد صادف نحو الخليل تلميذا نجيبا يفهم علم أستاذه ويحفظه، يستطيع المناقشة فيوافقه أحيانا ويخالفه أحيانا أخرى، ويحلل ويربط بين المتشابهات والنظائر، ويفسر الظواهر على طريقة أستاذه. ووجد علم الخليل البيئة العلمية الخصبة في البصرة التي كانت تذخر بعلماء كبار، أدركوا قيمة علم الخليل، فحافظوا عليه، أما معجم العين فلم يتوافر له من العلماء من يشبه سيبويه، ولم يجد في خرسان البيئة التي تماثل البصرة.

وعلى الرغم من اشتمال معجم العين على بعض الهنات، فإنه يصور فكر الخليل وإبداعه، ويتجلى ذلك فيما يأتي:

- يعد العين بداية التأليف المعجمي في لغتنا العربية، وهذا يتوافق وعبقرية الخليل التي أبدعت العروض والقافية، وأصلت علمي النحو والأصوات، وأزالت اللبس بين نقطي الشكل والإعجام.

- شهد الكتاب أول محاولة لحصر جذور اللغة، وهي محاولة رياضية منطقية تقوم على استقصاء كل الجذور الممكنة في اللغة من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وبيان المستعمل والمهمل فيها.

– شهد الكتاب أول محاولة لترتيب الحروف الهجائية ترتيبا مخرجيا، وقد أظهر هذا الأمر جهودا رائدة في علم الأصوات، فبين مخارجها وصفاتها من جهر وهمس وشدة ورخاوة وترقيق وتفخيم ونحو ذلك. وهذه الأفكار لا تصدر إلا عن عقل الخليل، الذي اعتاد أن يبدع في كل العلوم التي عالجها.

المبحث الثاني: الكتب المفقودة:

١- فائت العين:

وقد ذكره ابن النديم، وبعض من ترجموا للخليل[١٠]، ورأى بعضهم أن هذه النسبة غير صحيحة، ولا نملك دليلا على صحة نسبته إليه أو نفيها عنه، ويبدو من عنوانه أنه يتناول بعض مواد اللغة التي لم ترد في معجم العين، وإذا كان الشك قد حام حول إكمال الخليل لمعجم العين واستيفاء مادته– فإن نسبة فائت العين إلى الخليل سينالها المزيد من الشك.

٢- كتاب العروض:

ولم يشكك أحد من العلماء في هذا الكتاب، رغم ضياعه، كما ضاع غيره من كتب الخليل، ويرجع ذلك إلى إجماع العلماء على أن الخليل هو المؤسس لهذا العلم، فقد أحاط بكل مباحثه ومصطلحاته، ولم يسبقه أحد إلى ذلك، فمن المنطقي أن يكون له كتاب في هذا العلم.

٣- كتابا الإيقاع والنغم:

ذكرهما ابن النديم، وهما كتابان في الموسيقا، وقد ذكر الزبيدي أن إبراهيم الموصلي – وهو من أعلام الموسيقا والغناء في العصر العباسي – استفاد منهما في تأليف كتابه "النغم واللحون" وقد اعترف بفضل الخليل على كتابه[١١]. ولا شك أن معرفة الخليل بالإيقاع والنغم كان لها أكبر الأثر في تأسيس علمي العروض والقافية.

٤- كتاب في علم الكلام:

وهذا الكتاب لا ذكر له في ترجمات الخليل، ولكن كبار المعتزلة يذكرونه في معرض حملة عنيفة يشنونها على الخليل بن أحمد، ويبدو أن الرجل في كتابه المشار إليه كان قد تعرض لأفكارهم، يقول النظام: " توحد به العُجْب فأهلكه، وصور له الاستبدادُ صوابَ رأيه، فتعاطى ما لا يحسنه، ورام ما لا يناله، وفتنتْه دوائرُه التي لا يحتاج إليها غيرُه"(١٢).

ويقول الجاحظ في الإطار نفسه: "إن الخليل عزت عليه نفسه حين أحسن في النحو والعروض، فظن أنه يحسن الكلام وتأليف اللحون، فكتب فيهما كتابين لا يشير بهما ولا يَدِلُّ عليهما إلا المِرَّةُ المحترقة، ولا يؤدي إلى ذلك إلا خِذْلانٌ من الله تعالى"(١٣).

والنظام والجاحظ هنا يثبتان للخليل كتابين لا شك في نسبتهما إليه، أحدهما في علم الكلام، ولا يذكران اسمه، وهذا الهجوم العنيف على الخليل من علمين من كبار المعتزلة يثبت أنه استطاع في كتابه أن ينال من أفكارهم، والكتاب الآخر في اللحون، ولعله أحد الكتابين السابقين في الموسيقا، وقد شهد لهما بالفضل إبراهيم الموصلي، أكبر أعلام هذا الفن في عصره، ولعل هذا يؤكد أن حكم المعتزلة على الخليل لم يكن موضوعيا.

٥- كتاب النقط والشكل:

ذكره ابن النديم، ولم يشكك أحد من العلماء في نسبة هذا الكتاب إليه، فالخليل يرجع إليه الفضل في تطوير الرسم الكتابي، فقد أزال الخلط بين نقطي الشكل والإعجام، هذا الخلط الذي شاع في المراحل السابقة لمرحلة الخليل، فوضع الحركات والسكون والتشديد والهمز بالشكل الذي نألفه، وهو بهذا الصنيع قدم خدمة جليلة لكتاب الله وللغة العربية.

٦- كتاب الشواهد:

ذكره ابن النديم أيضا، ويبدو أنه يجمع الشواهد التي حفظها الخليل في اللغة والنحو، فقد رحل إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة، وأخذ اللغة من أفواه الأعراب، كما كان يلتقي في البصرة بالأعراب الفصحاء فيأخذ عنهم، ولا شك أن الخليل كان يدون الكثير من هذه المسموعات إضافة إلى ما حفظه، وقد شهد له بتدوين كلام العرب تلميذه سيبويه، فحين سئل عن طريقة إلقاء الخليل العلم على تلاميذه، أجاب بأنه كان يلقي عليهم من حفظه، وأنه لم يجد معه إلا عشرين رطلا فيها بخط دقيق: " ما سمعته من كلام العرب"[١٤] ومادة كتاب الشواهد هي ما سمع من كلام العرب.

٧- كتاب النوادر:

وذكره ابن منظور في " لسان العرب"[١٥]، وعنوانه يشير إلى أن مادته من شواهد اللغة، ولا غرابة في نسبة هذا الكتاب إلى الخليل.

٨- كتاب العوامل:

ذكره ياقوت الحموي وابن خلكان، وأنكر القفطي نسبته إليه، وقال بأنه منحول عليه[١٦]، ولا نملك دليلا يثبت صحة نسبته إليه أو نفيها عنه؛ لأن الكتاب مفقود، ولكن ليس بمستبعد نسبة موضوع الكتاب إلى الخليل، فهو الذي أرسى أصول نظرية العامل في النحو العربي، تشهد بذلك آراؤه في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحاة.

المبحث الثالث: كتاب الجمل في النحو:

وقد حقق هذا الكتاب ثلاث مرات:

التحقيق الأول: قام به الباحث سعد أحمد سعد جحا، في رسالته للماجستير، سنة ١٩٨٠ م، وعنوانها" تحقيق كتاب وجوه النصب المنسوب إلى الخليل بن

أحمد الفراهيدي أو إلى أبي عبد الله محمد بن شقير صاحب أبي العباس المبرد".[١٧]

التحقيق الثاني: قام به الدكتور فخر الدين قباوة سنة ١٩٨٥، وعنوان الكتاب: " كتاب الجمل في النحو: تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي"، والعنوان بهذه الصورة لا يشير إلى شك في نسبة الكتاب، لكن المحقق يبدي الكثير من الشك في نسبته، وذلك في مقدمة التحقيق، ويرى أن دوره يقتصر على تحقيق الكتاب وإخراجه للدارسين، ثم يبدأ دورهم في الدراسة والتوثيق[١٨].

التحقيق الثالث: قام به الدكتور فائز فارس، ولم يذكر تاريخ صدور الكتاب، لكنه أنهى مقدمة التحقيق سنة ١٩٨٧، مما يعني أنه أتمه بعد التحقيقين السابقين، لكنه لم يشر إلى أي منهما، والكتاب نشرته مؤسسة الرسالة، وهي المؤسسة نفسها التي نشرت طبعتين من كتاب الجمل بتحقيق الدكتور قباوة وعنوان تحقيق الدكتور فائز: "المحلى: وجوه النصب" لأبي بكر بن شقير، وقد اختار المحقق عنوانا غريبا لم يرد في أي من مخطوطات الكتاب، وحجته في ذلك أن عنوان الجمل صار مضللا، لأنه يربط ربطا غير صادق بين الكتاب والخليل بن أحمد، وقد ورد اسم "المحلى" محرفا عن "الجمل" لدى السيوطي في نقله عن ياقوت الحموي، فآثر المحقق أن يعتمد على الاسم المحرف ابتعادا عن شهرة نسبة الجمل إلى الخليل[١٩].

ويبدو من خلال التحقيقات الثلاثة السابقة الاضطراب الواضح في عنوان الكتاب ونسبته، فهو تارة "وجوه النصب" للخليل أو ابن شقير، وتارة "الجمل" للخليل، وثالثة "المحلى" لابن شقير.

وقد قمت بدراسة وافية عن كتاب الجمل بعنوان" كتاب الجمل المنسوب للخليل بن أحمد: دراسة توثيقية"[٢٠]، واعتمدت هذه الدراسة على عرض ما ورد في كتاب الجمل على نحو الخليل بن أحمد الذي نقلته كتب النحو وبخاصة كتاب سيبويه ، وكذلك نحو تلميذه الذي كانت آراؤه صدى لآراء أستاذه ما لم

يصرح بمخالفته، واهتمت الدراسة بأوجه التناقض في الآراء والمـصطلحات، واختلاف التحليل والمعالجة لمسائل النحو بين صاحب الجمل والخليل، واهتمت بإظهار ما اشتمل عليه الكتاب مما لا ينتمي إلى عصر الخليل ، وقد أفضى ذلك كله إلى انتفاء نسبة الكتاب إلى الخليل بن أحمد للأسباب الآتية:

١- التناقض الواضح بين كثير من الآراء الواردة في الجمل وآراء الخليل بن أحمد التي حملتها لنا كتب النحو بخاصة كتاب سيبويه.

٢- التناقض الواضح بين كثير من الآراء الواردة في الجمل وآراء سيبويه التي لا يشير فيها إلى مخالفة أستاذه ، فسيبويه في مثل هذه المواضع يصور آراء الخليل.

٣- بعض الآراء التي خالف فيها صاحب الجمل الخليل وسيبويه – ذكرها النحاة المتأخرون غير منسوبة للخليل بن أحمد ، بل كان منها ما ينسب إلى عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وابن يسعون وابن الطراوة ، وفي بعض الأحيان كان النحاة يذكرون رأي الخليل دون إشارة إلى هذه الآراء المخالفة.

٤- كتاب الجمل لا يفصح عن طريقة الخليل في تحليل الظواهر اللغوية، ففي المواضع التي يلتقيان فيها نجد اختلافا واضحا في تفسير الظواهر وكيفية معالجتها.

٥- كتاب الجمل يشتمل على بعض الاصطلاحات والشواهد والأمثلة التي لا تنتمي إلى مرحلة الخليل ولا المرحلة التالية لها، ومن أمثلة ذلك استعماله المجاز بالمعنى الاصطلاحي ، وذكره شواهد لأبي الجراح العقيلي الذي كان من مصادر الكوفيين ، وكذلك لابن دريد الذي ولد بعد عصر الخليل.

يضاف إلى الأسباب السابقة ما ذكره بعض الباحثين من أسباب تحول دون نسبة الكتاب إلى الخليل كإشارة مقدمة الكتاب إلى أن لصاحبه كتابَ "مختصر

في النحو" ولم ينسب أحد إلى الخليل هذا المختصر، واستعمال اللغز النحوي في الكتاب، ولم نعهد وجود ذلك في عصر الخليل ، واشتمال الكتاب على بعض الاضطراب الذي لا يمكن صدوره عن الخليل.

تلك هي المؤلفات التي تنسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولعله قد اتضح أن ستة منها موجودة، خمسة منها في النحو، لم تصح نسبتها له، وأنها جميعا لا ترقى إلى فكر الخليل الذي أقر به جمهور العلماء والباحثين، والسادس هو معجم العين، وقد اتضح الرأي فيه ففكرة الكتاب وخطته وأغلب مادته للخليل، مع اشتماله على إضافات لمن حملوه من تلامذته ومن النساخ، ولعل هذه الإضافات كانت سببا في جوانب النقص وما وجه إلي المعجم من نقد.

خاتمـــة

يمكن أن نجمل أهم النتائج فيما يأتي:

١- ينسب إلى الخليل بن أحمد عدة مؤلفات، وهي مخطوطات عمانية، لا وجود لها إلا في المكتبات الخاصة في سلطنة عمان، وقد ثبت في هذا البحث أنها ليست للخليل، وهي:

– "القصيدة المرجانية": وهي منظومة نحوية، ليست للخليل؛ فهي موثقة النسبة لأحمد بن مانع الذي لقب بمرجان العلوم، وقد عاش في نزوى في القرن التاسع الهجري، ووثق هذه النسبة في نظم أنهى به تلك المنظومة.

– كتاب "الهادي في النحو": وقد حقق هذا الكتاب في رسالة للماجستير بجامعة السلطان قابوس، وأثبت البحث أن الكتاب ليس للخليل، ورجح نسبته إلى يزيد بن محمد البهلوي، وهو نحوي عماني عاش في القرن الرابع الهجري.

– كتاب "التقريب": ولم يصل البحث إلى معرفة صاحبه، لكنه يأخذ حكم الكتابين السابقين، فالكتب الثلاثة وردت في مجموع واحد يضمها جميعا، والناسخ واحد وهو خلف بن خنجر الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري، وقد نسب الكتب الثلاثة إلى الخليل بن أحمد، وإذا كان كتاب الهادي والقصيدة المرجانية قد انتفت نسبتهما إلى الخليل، فإن كتاب التقريب نرجح أنه يأخذ الحكم نفسه.

– كتاب" المنظومة النحوية": وهو ليس للخليل لعدة أسباب، أهمها: أن ناسخ المخطوطات الثلاث السابقة هو ناسخ إحدى المخطوطات للمنظومة، ومخطوطات المنظومة العشرة كلها متأخرة، نسخت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ويرجح أن مخطوطة خلف بن خنجر أقدم هذه المخطوطات، فقد نسخت سنة١١٤٢، وأن غيرها من المخطوطات نقل عنها

هذه النسبة إلى الخليل، يضاف إلى ما سبق ضعف النظم، وسطحية الأفكار، واشتمال المنظومة على مصطلحات وآراء تخالف مصطلحات الخليل وآرائه.

٢- من المؤلفات المهمة التي تنسب إلى الخليل بن أحمد كتاب" الجمل في النحو" والكتاب ليس للخليل، ولكنه لابن شقير، وقد أثبتُّ هذا في بحث مستقل، ونشر في العدد الأول من مجلة الخليل التي تصدرها جامعة نزوى.

٣- كتاب العين يرجح أنه للخليل في فكرته وخطته وأكثر مادته، وما وُجِّه إليه من مآخذ سببه ضعف تلامذة الخليل في خرسان، حيث أملى كتابه؛ لذلك يمكن القول: إن علم الخليل وجد البيئة العلمية الخصبة في البصرة، التي كانت تذخر بعلماء كبار، أدركوا قيمة علم الخليل، فحافظوا عليه، وقد تجلى هذا في كتاب سيبويه، أما معجم العين فلم يتوافر له من العلماء من يشبه سيبويه، ولم يجد في خرسان البيئة التي تماثل البصرة.

٤- ثمة كتب مفقودة تنسب إلى الخليل، لم يشكك في نسبتها إليه أحد، ككتاب العروض، وكتابي الإيقاع والنغم، وكتاب في علم الكلام تعرض فيه لنقد آراء المعتزلة، وكتاب النقط والشكل، وكتاب الشواهد، وكتاب النوادر. وجل هذه الكتب وجد الدليل على صحة نسبته إليه.

* *

هوامش البحث

١) انظر: المجموع رقم ٤٣٤ نحو، بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، وقد أرفقت في نهاية المقالة صورة من الصفحة الأخيرة من المخطوطة، وتحوي النص المشار إليه.

٢) وردت الأبيات في الصفحة الأخيرة من المخطوطة، وهي مرفقة بالمقالة.

٣) انظر: كتاب الهادي في النحو، المنسوب ليزيد بن محمد البهلوي، دراسة وتحقيق: سعود بن حمد بن عبد الله الظفري، القسم الأول، رسالة ماجستير بمكتبة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، بجامعة السلطان قابوس١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م،ص٧– ٢٠.

٤) انظر: المنظومة النحوية، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور أحمد عفيفي، طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م ، ص١٤٥.

٥) انظر: نور القبس لليغموري، نقلا عن: المفصل في تاريخ النحو العربي، للدكتور محمد خير الحلواني، مؤسسة بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ص ٢٤٤.

٦) انظر: المعاجم العربية ، للدكتور عبد السميع أحمد، دار الفكر العربي، القاهرة ص٣٦.

٧) الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة ببيروت، ص٧.

٨) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي

٩) انظر: طبقات النحويين، للزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٤م، ص٥٢.

١٠) انظر: الفهرست ٦٥. وبغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، ص٢٤٥.

١١) انظر: إنباه الرواة، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م، ص١/ ٣٤٢.

١٢) الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، ١/ ١٦٥.

١٣) السابق: ١ / ١٥٠. ومعنى يدل: يجرئ، والمرة: العقل والمزاج.

١٤) انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة المعارف، حيدر آباد ١٣٢٥هـ، ٣ /١٦٤.

١٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، طبعة بولاق، القاهرة، ٩ / ٢٤.

١٦) انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٣ / ١١. وإنباه الرواة ١/ ٣٤٦.

١٧) الرسالة مودعة في مكتبة الرسائل الجامعية بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ورقمها ٦٣٥ ماجستير.

١٨) انظر: كتاب الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط١، مؤسسة الرسالة، ببيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص٥.

١٩) انظر: المحلى: وجوه النصب، لأبي بكر بن شقير، تحقيق الدكتور فائز فارس، مؤسسة الرسالة، ببيروت، ص٣٥.

٢٠) نشرت هذه الدراسة في مجلة الخليل، التي تصدرها جامعة نزوى، بسلطنة عمان، العدد الأول، ٢٠١٣م

* *

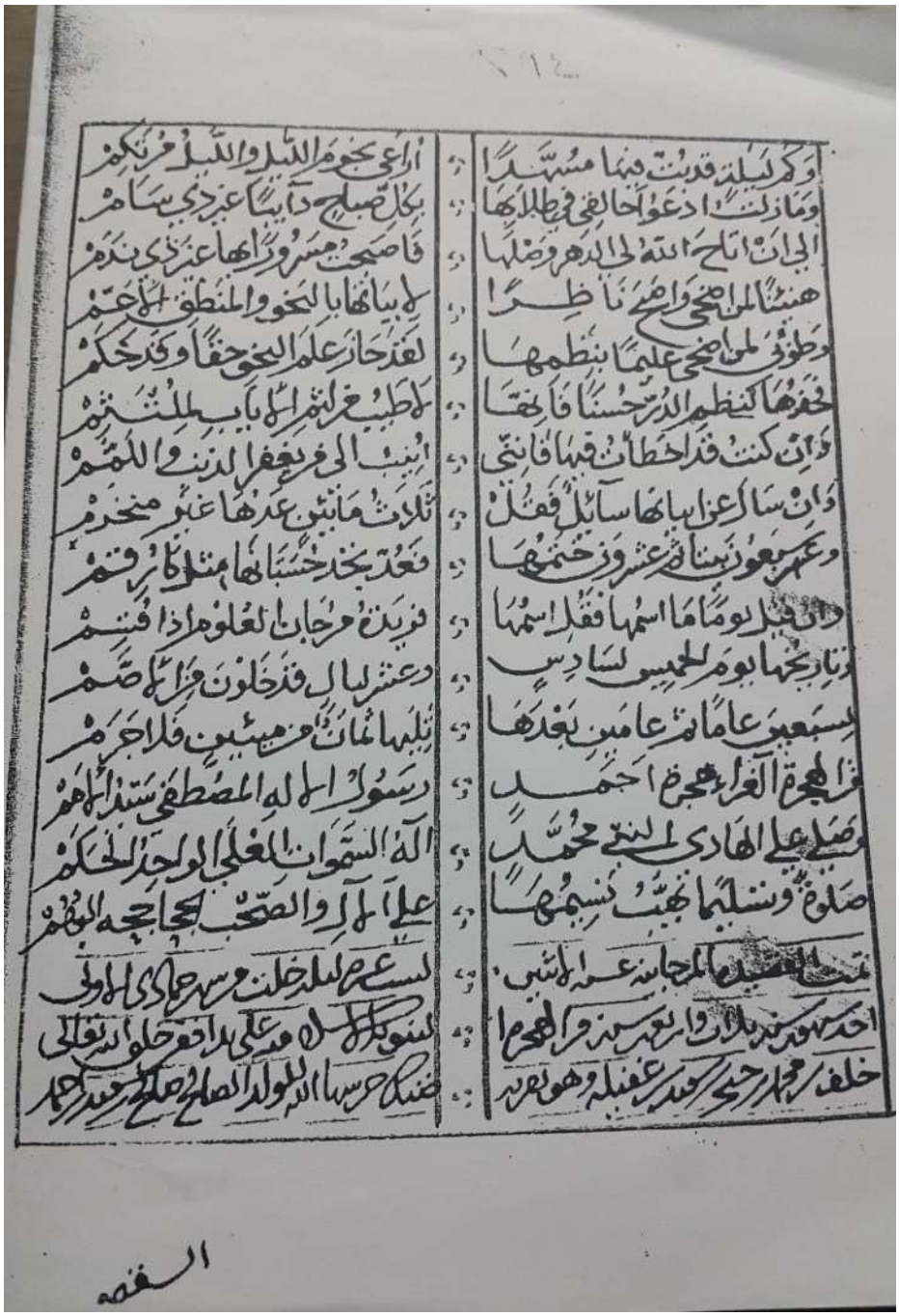

وكم ليلة قدت فيها مسهدا ... أراعي نجوم الليل والليل مركم
ومازلت أدعو أحالفي ظلامها ... بكل صباح دائبا غير دي سأم
إلى أن أتاح الله للدهر وصلها ... فأصبحت مسرورا بها غير ذي ندم
هنيئا لمن أضحى وأمسى ناظرا ... لأبياتها بالنحو والمنطق الأعم
وطوبى لمن أضحى عليما بنظمها ... لقد حاز علم النحو حقا وقد حكم
فخذها كنظم الدر حسنا فائقا ... لأطيب غرا ثم أهلا يا ملتثم
وإن كنت قد أخطأت فيها فإنني ... أتوب إلى من يغفر الذنب واللمم
وإن سار عن أبياتها سائل فقل ... ثلاث مائتين عدها غير منخرم
وعشرون بيتا ثم عشر وزنتها ... فعد يخد حسبانها متلاكر رقم
وإن قيل يوما ما اسمها فقل اسمها ... فريدة مرجان العلوم إذا فتم
وتاريخها يوم الخميس لسادس ... وعشر ليال قد خلون من الصمم
لسبعين عاما ثم عامين بعدها ... يليها ثمان ثم ميتين فالجرم
من الهجرة الغراء هجر أحمد ... رسول الإله المصطفى سيد الأمم
صلى على الهادي النبي محمد ... إله السموات العلي الواحد الحكم
صلوة وتسليما تجيب نسيمها ... على الآل والصحب الحجاج الهمم
تمت بعون الملك الوهاب عند العشي
أحد عشر يوما من ربيع الآخر سنة ١٢٥٢
خلف محمد رحيم سوند غفيلة وهو يقرئه
ضبط حرسها الله المولد الصالح وصلى الله على سيدنا محمد

السفحة